

حماس في تحولاتها الأخيرة



عدي صادق
كاتب وسياسي فلسطيني

يمكن للمرء، وبغير افتئات على حماس، أن يرى في تحولاتها الأخيرة ما يناقض بعضه بعضاً. فخطوة إعادة الرّخّم لعلاقتها مع طهران بتلك الحرارة التي انعكست في رثائها لقاسم سليمانّي؛ تنمّ عن حسابات مرتجلة، ولا نقول ذلك من منطلق إنكار حقها في المأساة، على الأقل لأن الرجل الذي قاد خطط إيران العسكرية في المشرق العربي؛ قد شمل حماس برعاية تسليحية ومعنوية. لكن حق حماس عن نفسها أيضاً أن تستذكر الدور الذي لعبه سليمانّي، كقائد ميداني ينفذ إستراتيجية إيرانية، قوامها السيطرة على بلدان في قلب هذا المشرق، على النحو الذي يلائم تمنيات الإخوان إن لم يكن يمثل لهم كابوساً.

ربما يكون قادة حماس قد جلسوا وفكروا، قبل أن يتخذوا خطواتهم، لكن المنطق يقول، إن محددات هذا التفكير لم تكن صائبة، بحكم معطيات كثيرة في محيطهم الأقرب.

ربما يكون قادة حماس قد جلسوا وفكروا، قبل أن يتخذوا خطواتهم، لكن المنطق يقول، إن محددات هذا التفكير لم تكن صائبة، بحكم معطيات كثيرة في محيطهم الأقرب.

يمكن للمرء، وبغير افتئات على حماس، أن يرى في تحولاتها الأخيرة ما يناقض بعضه بعضاً. فخطوة إعادة الرّخّم لعلاقتها مع طهران بتلك الحرارة التي انعكست في رثائها لقاسم سليمانّي؛ تنمّ عن حسابات مرتجلة، ولا نقول ذلك من منطلق إنكار حقها في المأساة، على الأقل لأن الرجل الذي قاد خطط إيران العسكرية في المشرق العربي؛ قد شمل حماس برعاية تسليحية ومعنوية. لكن حق حماس عن نفسها أيضاً أن تستذكر الدور الذي لعبه سليمانّي، كقائد ميداني ينفذ إستراتيجية إيرانية، قوامها السيطرة على بلدان في قلب هذا المشرق، على النحو الذي يلائم تمنيات الإخوان إن لم يكن يمثل لهم كابوساً.

ربما يكون قادة حماس قد جلسوا وفكروا، قبل أن يتخذوا خطواتهم، لكن المنطق يقول، إن محددات هذا التفكير لم تكن صائبة، بحكم معطيات كثيرة في محيطهم الأقرب.

اضطرابات المنطقة تبعث رسائلها، والسياسة الإيرانية والتركية تواجهان انسداداً، والأمن القومي العربي يشهد فراغاً أعوى طمران وأنقرة، وليس للفلسطينيين من نصير حقيقي لا في التسوية ولا في المقاومة

فقد كان يتعين عليهم أن يعلموا بان الصراع اليوم، على بلداننا وفيها، يدور بين قوة أعظم قررت إعادة إيران إلى حدودها، وقوة إيرانية أضعفت تريد تثبيت وجودها المتخطي الحدود، من خلال ميليشيات هادرة، ربما في غمرة حماسها، لا تستطيع قراءة السياق الإستراتيجي للسياسات الإقليمية والدولية. وإن ظلنا في نطاق الحديث عن حماس تحديداً، بمقدورنا أن نتبين الفجوة بين خطوتها الإيرانية الجديدة، وتحولاتها الجديدة داخل منطقة سلطتها في غزة.

ففي الوقت الذي يحافظ فيه حلفاء إيران الصغار، على خطابهم المرعد عبر الأثير، فإن إيران نفسها تتوخى تسوية مع الأميركيين، وهي تعرف أن الغرب بات موحداً على هدف تحجيم نفوذها في المشرق العربي، كما تعرف أن ما تملكه من القوة العسكرية، ينحصر في الصواريخ الباليستية، وأن القواعد الأميركية تحيط بها من الشرق والغرب، وأن أي حرب يمكن أن تتدلع ستكون محفوفة بالمخاطر. فسلحتها الجوي شديد التواضع، وتقنيات التحكم في النيران لن تضاهي التقنيات الأميركية، والمجتمع المدني الإيراني يتحيز الفرصة للانحياز، وبالتالي فإن أي حرب، من شأنها تضييع النظام، ولن يجدي قبلاً، كل طنين الخطاب الجاهل، عند البوطيس. فما الرشقات الصاروخية التي أطلقت على قاعدتين أميركيتين في العراق بالكيفية التي أطلقت بها؛ إلا محاولة مدروسة ومبلغ عنها مسبقاً، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من تأثير خطاب الطنين، بل إن الإشارات الإيرانية

في هذا الخضم خطت حماس خطواتها، وكان ذلك ارتجالاً غير محسوب. فمن باب أول، لم تعد هي نفسها، تتبنى مشروعاً عسكرياً، وسط صراع الفيلة ومع بؤس المجتمع في غزة. ومن باب ثان، ليس لدى إيران ما تقفله لها سوى بيانات امتداح المقاومة حتى وإن لم يدر رجاها. فقد رُكّت غزة بكل وحشية عديد المرات، ولم تُطلق من جهة إيران وميليشياتها صفارة إنذار. ومن باب ثالث، لم يلق قرار استعادة الرّخّم للعلاقة مع إيران، ولا حرارة الرّثاء لسليمانّي واعتباره شهيد القدس، حماسة لدى منتسبي حماس. فقد عاش هؤلاء سنوات، في حال التماسي على الشعب السوري والتعاطف مع المعارضة المسلحة عدوة سليمانّي. ثم إن منحنى التفاهات على التهذبة مع إسرائيل، وهذه شقيقة الاتفاقات، لا تلائمها حرارة الرّثاء لسليمانّي. ربما تلائمها تعزية عُمان في رحيل سلطانها. فكيف قرأ قادة حماس المشهد؟ وبأي منطلق؟ وماذا يريدون؟

اضطرابات المنطقة تبعث رسائلها، والسياسة الإيرانية والتركية تواجهان انسداداً، والأمن القومي العربي يشهد فراغاً أعوى طمران وأنقرة، وليس للفلسطينيين من نصير حقيقي، لا في التسوية ولا في المقاومة. لذا فإن الأجدر بجماعة التسوية الفاشلة والمقاومة المجهدة، أن يلتقيا على هدف جمع عناصر العافية للمجتمع قدراته وإطلاق حرياته واستعادة مؤسساته، لكي تستعيد القضية الفلسطينية زخمها بدل الضياع بين المحاور!



ننذ التعليمات بحذافيرها



كباتات وظيفية

حركة الشباب الصومالية توثق علاقاتها بإيران على حساب تركيا

تباين في أدوات توظيف الجماعات المسلحة رغم تشابه الأهداف

شباب المجاهدين الصومالية، والأخرة شيعية وهي جماعة أنصار الله الحوثية باليمن، وهو ما لا تلتفت به قوة أخرى على المسرح الإقليمي. وتطمح إيران من خلال التحالفات المزدوجة مع تنظيمات مسلحة سنية وشيعية في مد منطقة نفوذ تبدأ من الصحراء الكبرى حتى شواطئ الصومال مروراً بخليج عدن وباب المندب، بما يمنحها استخدام بلد مثل الصومال كقاعدة عبور لمبيعات الأسلحة الإيرانية لمختلف الجماعات المتطرفة في أفريقيا.

ترى حركة الشباب أن تمتين العلاقة مع إيران من العوامل التي ترجح تفوقها في مواجهة محاولات تنظيم داعش التسلل إلى تلك المنطقة وتنشيط خلاياه، والذي دلت إصداراته الأخيرة على اهتمام خاص ببناء نفوذه جديد في أفريقيا. تبين لقيادة حركة الشباب أن كبح طموح داعش في أفريقيا وإخراجها من الصومال لن يحققها تفاهات أو شراكة مع تركيا، فبهمها توظيف طيف السلفية الجهادية داخل بؤر صراع محددة أخفقت أنقرة في فرض الهيمنة عليها عن طريق عقد الصفقات.

وترسخ أنقرة لواقع استعماري مقنع عبر التحكم المالي والإداري والفني في مختلف المشاريع الحيوية، وتكثيف الحضور العسكري من خلال إنشاء العديد من القواعد العسكرية، وإبرازها القاعدة العسكرية التركية جنوب مقديشو. وتكاد تكون الأطماع التي يؤملها الإيرانيون، هي ذاتها تقريبا أطماع تركيا الساعية لتعميق اختراق مؤسسات الدولة الضعيفة، بعدما خطلت خطوات كبيرة على مدى أكثر من عشر سنوات لإبتلاع الصومال وتريد إدخال قوة احتلال مباشرة تكون بديلة عن القوات الدولية التابعة للاتحاد الأفريقي المقرر انسحابها في العام المقبل.

تحالفت تركيا لفرض نفسها كبديل، ولم تعمل من منطلق الشراكة عندما حرصت على تجاهل اللجان الأمنية وعدم التنسيق مع القوى الدولية، فأرضة حضورها الأمني والعسكري والاقتصادي بشكل مستقل. ويقع الصومال بين فكي كماشة، فالتدخل التركي والإيراني لا يمنحه فرصة لبناء مؤسسات وطنية مستقلة ولن يمكنه من امتلاك استراتيجية فعالة لمحاربة الإرهاب. ويعرقل التدخل الإقليمي غير العربي جهود أطراف مختلفة تحاول بناء الدولة وتثبيت أركانها واستعادة الاستقرار والأمن، وهو ما أصاب بعض القوى الدولية بالشعور بعدم جدوى استمرار الدعم.

فالعلاقة بينهما حاضرة في دوافع الهجوم بالظفر لتوقيته وندرة وقوعه، فلم يسبق أن استهدفت الحركة منشأة تضم قوات أميركية خارج الصومال. يبرز هذا التطور واقعا يقول إن الحركة الصومالية المتطرفة باتت حليفا قويا للنظام الإيراني، ومن كان ينسب العلاقة بين الطرفين بناء على تبادل المنفعة هو فيلق القدس التابع للحرس الثوري، حيث تستفيد الحركة من سلاح إيران وتحقق الأخيرة مزايا استراتيجية بحكم موقع الصومال الحيوي.

هيمنة إقليمية ومنافسة ضمنية

اختارت إيران دعم حركة الشباب برعاية وتمويل قطريين، بينما يتبنى النظام التركي استراتيجية بناء النفوذ عبر الهيمنة على الفضاء الصومالي الهش من باب المساعدات وإدارة العديد من الأنشطة في المجالات العسكرية والاقتصادية والثقافية. لن تستطيع إيران الهيمنة على بلد غالبية من السنة مثل الصومال من خلال تبني الخطة التركية، ولذلك تحرص عبر تحالفها مع حركة الشباب على تحقيق أهداف مشتركة، كمناهضة النفوذ الغربي والأميركي ومنافسة خصوم إقليميين وإثبات وجودها في تلك المنطقة بالغة الأهمية بنشر الإرهاب والفوضى. تتعامل إيران مع حركة الشباب، وهي ذراع تنظيم القاعدة في شرق أفريقيا، بمنهجية تمنحها الأفضلية لدى التنظيمات المسلحة السنية في القارة، حيث تبحث تلك التنظيمات صياغة علاقة مختلفة خلال تجربتها في الساحة الأفريقية، لا تتكرر معها إخفاقاتها وانكساراتها في المنطقة العربية. وصل تنظيم القاعدة بشركائه مع النظام التركي في الساحة السورية إلى هزائم وخسائر سببها الرئيسي توشي الأتراك لتحقيق مصالحهم عبر تفاهات ومناورات مع أطراف الصراع.

واكد ذلك تكرار هجمات الحركة على المصالح والحضور التركي في الصومال، حيث أصيب السبت الماضي عدد من العاملين في شركة بناء تركية إثر تفجير ضخم باستخدام سيارة مفخخة بالعاصمة مقديشو التي تضم أكبر سفارة وقاعدة عسكرية لتركيا خارج حدودها. سواء تم تنفيذ الهجوم على القاعدة الكينية بالتنسيق التام بين النظام الإيراني وقيادة حركة الشباب الصومالية أو أن الحركة نفذته منفردة ردا على تكثيف الهجمات الأميركية ضدها،

كشفت التطورات المتلاحقة التي تقوم بها إيران وتركيا في دول أفريقية عدة عن حالة من الارتباط الوثيق في المنهج، من خلال هجوم هنا ورد هناك، وبين انحسار هنا ومحاولة للتعبؤ هناك. لكنها كشفت عن تباين لافت في أدوات وأساليب توظيف الجماعات المسلحة السنية، على الرغم من التشابه في الأهداف النهائية.

من الطائرات والمركبات، وفضلت التعامل مع الرد الإيراني المباشر المتعلق بضرب قاعدتها في عين الأسد وأربيل بالعراق ليظل الهجوم على قاعدة كينيا مدرجا ضمن استراتيجية الردع دون أن يسهم في تحريك الصراع إلى مستوى الحرب. وجه قائد حركة الشباب، أحمد ديري ابوعبيدة، تهديدا قويا لتركيا ولغيرها من القوى الداعمة للحكومة الصومالية التي تعتبرها الحركة قوى طامعة في ثروات البلاد، متهمها تركيا في أول تسجيل صوتي له على إذاعة "الأندلس" التابعة للحركة حمل عنوان "الشرعية أو الشهادة" بنهب ثروات بلاده وغزوها اقتصاديا واصفا إياها بعدو الأمة.

يقع الصومال بين فكي كماشة. فالتدخل التركي والإيراني لا يمنحه فرصة لبناء مؤسسات ولن يمكنه من امتلاك استراتيجية لمحاربة الإرهاب

تمكن أهمية الرسالة في أنها الأولى لرئيس الشباب منذ توليه قيادة الحركة في سبتمبر من العام 2014 خلفا لأحمد عبيد غودني (مختار أبو الزبير)، وأتى توقيتها دالا على أن إيقاع الحركة بمقاولين وعسكريين أترك ضمن هجومها الدامي الذي نفذته نهاية الشهر الماضي كان مقصودا، معتبرة الوجود التركي في الصومال مستقبلا هدفا لعملياتها ضمن أهدافها الأخرى.

واكد ذلك تكرار هجمات الحركة على المصالح والحضور التركي في الصومال، حيث أصيب السبت الماضي عدد من العاملين في شركة بناء تركية إثر تفجير ضخم باستخدام سيارة مفخخة بالعاصمة مقديشو التي تضم أكبر سفارة وقاعدة عسكرية لتركيا خارج حدودها. سواء تم تنفيذ الهجوم على القاعدة الكينية بالتنسيق التام بين النظام الإيراني وقيادة حركة الشباب الصومالية أو أن الحركة نفذته منفردة ردا على تكثيف الهجمات الأميركية ضدها،



هشام النجار
كاتب مصري

مقديشو - تتجاهل أنقرة المضي في مسار علاقاتها بالجماعات والميليشيات السنية على أساس المصالح المتبادلة، وتمضي وفقا للمصلحة التركية المباشرة، وهو ما يفسر توظيفها للكثير من المرتزقة، ونقلهم من ساحة إلى أخرى، ما يبين أسباب الاختلاف في طبيعة العلاقة بين تركيا ونفس التنظيم من مكان إلى آخر. راهنت تركيا في مرحلة ما على الجماعات السنية المسلحة مع استعدادها للتحول في أي وقت حسب متغيرات الأوضاع عبر التفاهم مع قوى محاربة لتلك الجماعات لتحقيق مصالح مشتركة. وهذا واضح في الحالة السورية، في حين تتخذ موقفا مغايرا في ساحة أخرى، كما هو الحال في الصومال، حيث تتناقض تصوراتها مع مصالح تنظيم القاعدة، فرع الصومال، وهو التنظيم ذاته الذي توظف عناصره كمرتزقة بين سوريا وليبيا. تتميز إيران في المقابل بعلاقات أكثر توازنا مع الجماعات السنية المسلحة، الأمر الذي يمنحها حيوية في المناورة والتعاطي مع الضغوط الدولية المتصاعدة. تبحث نموذج العلاقة التي تربط حركة شباب المجاهدين الصومالية بإيران أن الأخيرة حريصة على ألا تهبط علاقتها بالتنظيمات السنية المسلحة عموما إلى مستوى التوظيف والإبتزاز، كئنان الممارسات التركية، وتبقى داخل إطار محكم من المصالح الدقيقة، ويمكنها التقدير النفعي المتبادل مع تلك الجماعات من تحريك كل جبهة بالتزامن مع الأزمات والضغوط التي تواجهها.

للردع وليس للحرب

نفذت حركة شباب المجاهدين الصومالية المولية للقاعدة هجوما نوعيا ضد قاعدة "ماندا باي" العسكرية في كينيا التي تستخدمها القوات الأميركية، عقب مقتل قائد فيلق القدس الإيراني قاسم سليمانّي. سارعت واشنطن إلى نفي العلاقة بين اغتيال سليمانّي وهجوم حركة الشباب، والذي أسفر عن تدمير عدد